المحاضرة الثالثة: الرمزية والتعبيرية في المسرح الحديث

مع نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ظهرت ردود فعل قوية ضد هذا التوجه المادي، تمثلت في حركتي الرمزية (Symbolism) والتعبيرية .(Expressionism) لقد شعر رواد هاتين الحركتين أن الواقعية والطبيعية، بتركيزهما على السطح المادي للحياة، قد أغفلتا جوانب أساسية من التجربة الإنسانية: العوالم الباطنية، والأحلام، والمشاعر، والأبعاد الروحية والغامضة للوجود. لذلك، سعوا إلى خلق مسرح جديد يتجاوز حدود الواقع الملموس، ويغوص في أعماق النفس البشرية، ويعبر عن الحقائق الخفية التي لا يمكن للغة العادية أو التصوير الواقعي الإحاطة بها.الرمزية: الإيحاء بالسر والجمال الباطنينشأت الرمزية في فرنسا وبلجيكا في أواخر القرن التاسع عشر، متأثرة بالشعر الرمزي (بودلير، مالارميه، رامبو) والفلسفات المثالية والتصوف.

رفضت الرمزية الوضوح المباشر والخطاب العقلاني الذي ميز الواقعية، وآمنت بأن الحقيقة الأعمق للوجود لا يمكن التعبير عنها بشكل مباشر، بل يجب الإيحاء بها من خلال الرموز، والأجواء، والموسيقى، والصمت.يهدف المسرح الرمزي إلى خلق حالة مزاجية (mood) معينة لدى المتفرج، ونقله إلى عالم يشبه الحلم، حيث تتلاشى الحدود بين الواقع والخيال، وبين الوعي واللاوعي. الشخصيات في المسرح الرمزي غالبًا ما تكون غامضة، أشبه بالأطياف أو القوى المجردة، وتتحرك في فضاءات غير محددة زمانيًا أو مكانيًا.

الحبكة الدرامية التقليدية تتراجع أهميتها لصالح التركيز على الصور الشعرية، والإيقاع اللغوي، والدلالات الرمزية التي تثيرها الكلمات والإشارات والأضواء والألوان.يُعتبر الكاتب البلجيكي موريس ميترلنك (Maurice Maeterlinck) أبرز ممثلي المسرح الرمزي. في مسرحياته المبكرة مثل "الدخيل (The Intruder) " و"العميان (The Blind) "و"بلياس وميليزاند (Pelléas and Mélisande)، خلق ميترلنك ما أسماه النقاد "المسرح الساكن .(static theatre) "

في هذا المسرح، لا يحدث الكثير من الأفعال الخارجية، بل تتركز الدراما على التوتر الداخلي، والانتظار، والخوف من المجهول، والشعور بحضور قوى غامضة وغير مرئية تتحكم في مصائر الشخصيات. الحوار غالبًا ما يكون بسيطًا ومكررًا، ويكتسب أهميته من خلال ما لا يُقال، ومن خلال الصمت الذي يتخلله، والذي يصبح بحد ذاته تعبيرًا عن القلق الوجودي وعجز اللغة. كما

ساهم الشاعر الأيرلندي ويليام بتلر ييتس (W.B. Yeats) في تطوير المسرح الرمزي، مستلهمًا الأساطير والفولكلور الأيرلندي لخلق مسرح شعري يهدف إلى إيقاظ الروح القومية والتعبير عن الحقائق الروحية الأبدية.

1 التعبيرية:

صرخة الذات المعذبة وتشويه الواقعإذا كانت الرمزية قد ركزت على الغموض والجمال الباطني، فإن التعبيرية، التي ازدهرت بشكل خاص في ألمانيا والنمسا في العقدين الأولين من القرن العشرين (خاصة في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى)، كانت بمثابة صرخة احتجاج عنيفة ضد الواقع الخارجي وقيمه المادية الزائفة. تأثرت التعبيرية بالفلسفة (نيتشه)، وعلم النفس (فرويد)، والفنون التشكيلية (مثل جماعة الجسر والفارس الأزرق)، ورأت أن العالم الخارجي هو مجرد انعكاس مشوه للعالم الداخلي للفنان أو الذات.

يهدف المسرح التعبيري إلى التعبير عن المشاعر والانفعالات الذاتية بأقصى درجات الحدة والقوة، حتى لو تطلب ذلك تشويه الواقع وتجاوز قوانين المنطق والعقل. الواقع في المسرح التعبيري ليس هو الواقع الموضوعي الذي نراه بأعيننا، بل هو واقع ذاتي، تمت تصفيته من خلال رؤية الشخصية الرئيسية (غالبًا ما تكون شخصية معذبة، ثائرة، تبحث عن الخلاص أو عن "الإنسان الجديد"). لذلك، نجد في المسرح التعبيري شخصيات مجردة ونمطية (الأب، الابن، العامل، الرأسمالي)، وحوارات متقطعة، لغة متوترة ومحمومة، ومشاهد بصرية مشوهة وغريبة (إضاءة حادة، ديكورات مائلة أو رمزية).

البنية الدرامية في المسرح التعبيري غالبًا ما تكون مفككة، وتعتمد على سلسلة من المشاهد أو "المحطات (Stationendrama) "التي تمثل مراحل في رحلة البطل الروحية أو صراعه مع العالم. استلهم التعبيريون هذه البنية من مسرحيات أوجست ستريندبرج المتأخرة (مثل "مسرحية حلم " A Dream Play و"سوناتا الشبح (The Ghost Sonata "، الذي يعتبر الأب الروحي للتعبيرية.

من أبرز كتاب المسرح التعبيري الألماني جورج كايزر) (Georg Kaiser) في مسرحيات مثل "من الصباح حتى منتصف الليل (From Morn to Midnight "، وإرنست تولر

(Ernst Toller) في مسرحيات مثل "التحول Transfiguration "و"الإنسان والجماهير" .(Man and the Masses). غالبًا ما حملت مسرحياتهم رسالة اجتماعية أو سياسية قوية، منتقدة الحرب، والرأسمالية، والتصنيع، وداعية إلى ثورة روحية وإنسانية جديدة.الإرث والتأثيرعلى الرغم من أن الرمزية والتعبيرية كحركات منظمة قد تراجعتا بعد عشرينيات القرن العشرين، إلا أن تأثيرهما على تطور المسرح الحديث كان عميقًا ودائمًا.

لقد فتحتا الباب أمام استكشاف العوالم الذاتية واللاواعية، وحررتا المسرح من قيود المحاكاة الواقعية، وأثرتا بشكل كبير على لغة الإخراج المسرحي الحديث (خاصة في استخدام الإضاءة والديكور والحركة للتعبير عن الحالات النفسية). يمكن رؤية أصداء الرمزية والتعبيرية في أعمال كتاب ومخرجين لاحقين، مثل مسرح القسوة عند أرتو، والمسرح الملحمي عند بريخت (في بعض جوانبه)، ومسرح العبث، والعديد من التجارب المسرحية المعاصرة التي تسعى إلى تجاوز حدود الواقعية التقليدية.